العرب
الأربعاء 2021/01/06
السنة 43 العدد 11932

جنوب لبنان في عين عاصفة التوتر بين إيران وإسرائيل

اللبنانيون يحذرون حزب الله من مغامرة غير محسوبة

كثُرت تحليلات الباحثين حول احتمال تدخل حزب الله اللبناني لمساندة حليفته إيران في ظل التوتر المتصاعد مع إسرائيل، وباتت عينٌ على كيفيّة الرد وأخرى على الزمان والمكان. وبينما تدفع طهران إلى إبقاء حالة الفوضى في المنطقة، يرى البعض أن هذه الإستراتيجية غير مضمونة النتائج خصوصا في ظل توجه دولي صاعد لمواجهة الاستفزازات الإيرانية.

بيروت - على وقع تهديدات متبادلة بين إيران والولايات المتحدة، اندلعت نقاشات ساخنة حول مصير المنطقة في الفترة الانتقالية بين إدارة أميركية مقبلة وأخرى تتحضر للرحيل، مع ارتفاع منسوب احتمال تحريك إيران لأذرعها في المنطقة، وبينها جماعة حزب الله اللبنانية، من أجل مهاجمة إسرائيل.

وهبي قاطيشا

حزب الله يعي أن أي عمل عسكري سيكون مدمّرا له وللبنان

وتتجه الأنظار نحو ردّ متوقّع من الجنوب اللبناني على الشمال الإسرائيلي أو العكس، لاسيّما بعد إعلان طهران على لسان قائد القوات الجوية في الحرس الثوري الإيراني، علي حاجي زادة في تصريحات لقناة "المنار" التابعة لحزب الله، السبت الماضي، أن "كلّ ما تمتلكه غزة ولبنان من قدرات صاروخيّة تم بدعم إيران، وهما الخط الأمامي للمواجهة".

ولكن يبدو أن ذلك مجرد كلام لا يمت للواقع بصلة، ففي ردّ مبطن ممزوج بالتحذير لحزب الله، قال الرئيس اللبناني ميشال عون، الأحد، إن "استقلال لبنان وسيادته والقرارات التي يتخذها هي مسؤولية اللبنانيين دون غيرهم"، ما يعني أن أي عمل استفزازي ستتحمل مسؤوليته إيران بالكامل.

فرقعة إعلامية

تلجأ إيران في كل مرة تجد فيها متنفسا إلى أسلحتها التقليدية في خلق صوت لها في المنطقة، وعمادها حزب الله والتهديد باستهداف إسرائيل وسط توقعات بتصعيد عسكري بين إيران وإسرائيل تكون سوريا ميدانه ولبنان غرفة عملياته.

ومع ذلك يقلل البعض من جدية التهديدات الإيرانية، فقد نفى وهبي قاطيشا، العميد المتقاعد في الجيش اللبناني، النائب عن كتلة القوات، أن تكون تهديدات قائد القوات الجويّة في الحرس الثوري الإيراني عسكريّة أو جديّة. وقال إن "إيران تهدّد بحزب الله، لكنّها مجرّد حرب إعلاميّة وكلاميّة".

ويعي حزب الله أن قلق المجتمع الدولي من تعطيل الديناميات السياسية في لبنان أقوى من رغبته في احتواء النفوذ الإيراني هناك. ولكن في خضم هذا السياق بإمكان ذراع إيران في لبنان المضيّ قُدما للاستفادة من الدعم الدولي لبيروت وخاصة من قبل فرنسا بهدف التحضير لخطوته المقبلة.

واعتبر مراقبون سياسيون أن التهديدات الإيرانية لإسرائيل هي مجرد تنفيس إعلامي لا أكثر، وليس هناك ما يشير إلى أن حزب الله يريد تنفيذ هجمات على إسرائيل في ذكرى مقتل سليماني، كما أن كل ما يصدر من الجانب الإسرائيلي من تهديدات هي استباقيّة وتحذيريّة في حال كان الحزب ينوي القيام بأي عمل.

ويقول قاطيشا إن حزب الله يدرك أن ردات الفعل على أي عمل عسكري ستكون مدمّرة له وللبنان، وستكون قاسية وغير متوقّعة، وأي خطوة من هذا النوع ستكلّفه. ورأى أن سياسة الإدارة الأميركيّة واحدة في حال كان الرئيس هو دونالد ترامب أو جو بايدن، ولن تتبدّل حيال إيران وأذرعها.

واستنكر مسؤولون لبنانيون ومن بينهم محمد الحجار، نائب عن كتلة المستقبل، بزعامة رئيس الحكومة المكلف سعد الحريري، التصريحات الإيرانيّة، التي يرى أن طهران تريد من خلالها استخدام أذرعها التي أوجدتها في المنطقة العربيّة لتحسين مواقعها وإيجاد نفوذ لها.

ومن المؤكد أن قرار الحرب والسلم في لبنان لا يجب أن يكون بيد حزب الله ولا إيران، إنّما بيد الدولة، وهذا يزيد من إصرار المسؤولين على وجوب حصر السلاح بيد الدولة.

ويمتلك حزب الله أسلحة متطورة بينها صواريخ، وهو ما تنقسم حوله الأطراف اللبنانية بين مؤيّد، بدعوى "مواجهة إسرائيل" التي تحتل أراضي لبنانية، ورافض يعتبره سلاحا غير شرعي ويطالب بحصر قرار الحرب والسلم بيد الدولة.

ورغم أن اغتيال العالم محسن فخري زادة شكل ضربة قاصمة لمشروع إيران النووي، إلا أن طهران لم تتوخ إلا سياسة التسويف والاستفزاز عبر أبواقها الإعلامية، ولم تقدم على أي خطوة قد تثير الولايات المتحدة حليفة إسرائيل.

ميزة إستراتيجية

خلال تسعينات القرن الماضي، اعتاد الإسرائيليون، خلال الحرب في جنوب لبنان، على سياسة إيرانية ثابتة تقوم على تحقيق انتصارات إعلامية كافية لتحقيق توازن ميداني على الأرض. وهذه السياسة مكنت حزب الله اللبناني، خلال "حرب تموز 2006"، من تحقيق "انتصار" معنوي ما زال يعتمد عليه إلى الآن في تهديد إسرائيل.

وحققت إيران انتصارا إعلاميا مشابها في فبراير 2018 عندما حظي إسقاط طائرة إسرائيلية من طراز "أف – 16" بتغطية إعلامية أوسع كثيرا من المعركة القصيرة التي دارت بين الجانبين، وشهدت إسقاط طائرة إيرانية من دون طيار، وتدمير قواعد عسكرية سورية ومراكز للتحكم والسيطرة وقاعدة إيرانية تحت الإنشاء قرب تدمر، في وسط سوريا.

وتحاول إسرائيل أن تحافظ على ميزة إستراتيجية أتاحت لها، منذ العام 2012، التحرك بحرّية في سماء سوريا، وانتقاء الأهداف وضربها، دون أن يثير ذلك أي رد من قبل إيران أو الجيش السوري أو القوات الروسية المتمركزة في سوريا، لكن يبدو أن "الرخصة" التي استمتعت بها إسرائيل طوال السنوات الماضية باتت على المحك.

وهناك حالة استنفار إسرائيلية كبيرة بالفعل على الجبهة الشمالية الممتدة بين لبنان وسوريا خشية إقدام طهران من خلالها على أي هجوم يستهدفها. وسجل حضور مكثف للطيران الإسرائيلي في أجواء لبنان، فيما بدا استعراض قوة لإيصال رسالة تحذيرية لاسيما لحزب الله اللبناني ذراع طهران القوية في المنطقة، من مغبة الإقدام على أي مغامرة غير محسوبة العواقب.

وتواترت تقارير محلية وأخرى غربية خلال الأسابيع الماضية بأن الطيران الحربي الإسرائيلي حلق فوق مختلف المناطق في لبنان بشكل مكثف وخاصة فوق أجواء النبطية وصولا إلى إقليم التفاح حيث نفذ غارات وهمية على علو منخفض، وصلت إلى سماء مجرى الليطاني، وقلعة الشقيف ويحمر وأرنون وكفرتبنيت والدوير والشرقية وقعقعية الجسر.

خالد حمادة

التهديدات ليست جديّة أو واقعيّة فإيران تمر بظروف صعبة

كما تم تسجيل تحليق مكثف للطيران الإسرائيلي فوق بيروت وضواحيها في نوفمبر الماضي وأيضا في أجواء صيدا وشرقها وجزين، وهو ما تكرر في مناطق حاصبيا والعرقوب، وصولا إلى مرتفعات جبل الشيخ والجولان السوري المحتل.

ولا يعتبر الباحث في الشؤون الأمنية والسياسية العميد خالد حمادة التهديدات الإيرانية هذه المرة أكثر جديّة أو واقعيّة، فإيران تمر بظروف صعبة، وهي غير قادرة على الدخول في صدام مسلّح مع الولايات المتحدة، فالنتيجة غير مضمونة، وكذلك عدم الرغبة الإسرائيليّة في شنّ حملة عسكريّة محدودة في الداخل اللبناني.

وبحسب حمادة، تدمّر إسرائيل البنية التحتية الإيرانيّة في سوريا، وهذا يحصل أسبوعيا. وفي ضوء ذلك، لا يعتقد أنه ستكون هناك عمليّة عسكريّة من الأراضي اللبنانية باتجاه إسرائيل، ولاسيّما وأنّه لا يوجد أي هدف يمكن أن تحققه طهران من هذا الهجوم.

أي هجوم ثمنه باهظ

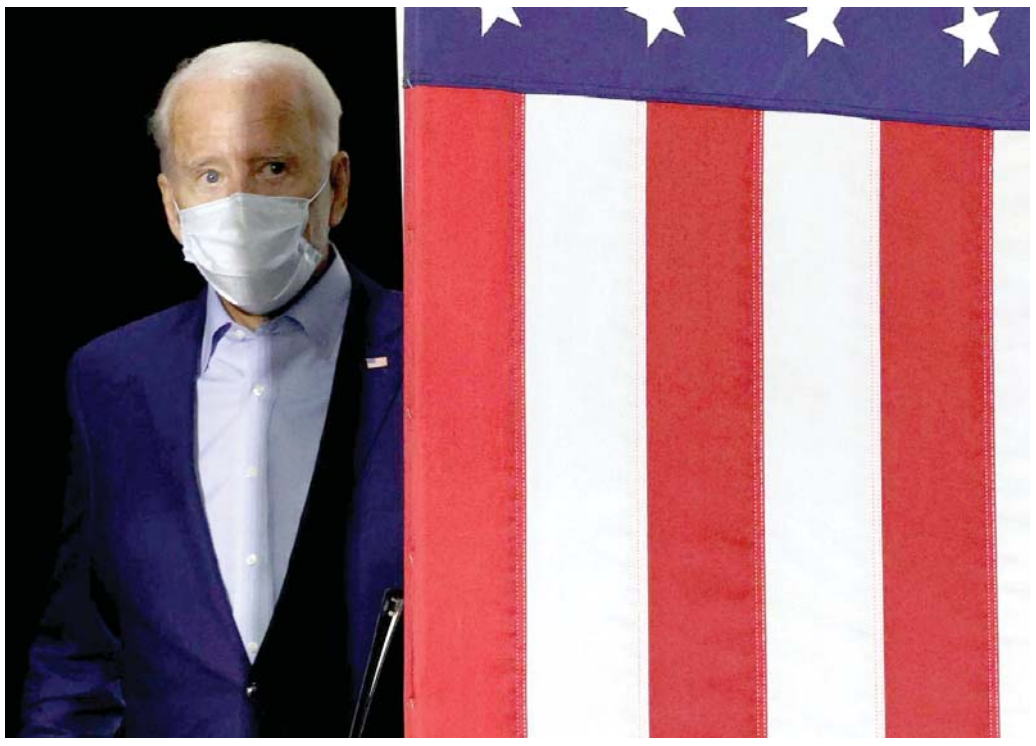

البقاء في الظل لن يدوم طويلا

مشكلة بايدن مع إيران تزداد تعقيدا مع اقتراب موعد تنصيبه

خروقات طهران تترك سيناريوهات متنافرة أمام إدارة بايدن

لم تتّسم علاقة الولايات المتحدة بإيران بالسهولة أبدا في السنوات الأربع الماضية، كما لن يكون استعداد الرئيس المنتخب جو بايدن للعودة للانضمام إلى الاتفاق النووي الإيراني مفيدا كثيرا حينما يتسلم منصبه بعد أسبوعين من الآن، وذلك في أعقاب عودة طهران إلى سلوكها الاستفزازي، مما يجعل الساكن الجديد للبيت الأبيض أمام مشكلة أكثر تعقيدا.

واشنطن - يواجه الرئيس الأميركي المنتخب جو بايدن وضعاً غير مؤكد بشكل متزايد عندما يتعلق الأمر بإيران بسبب تحركاتها الأخيرة، والإجراءات غير المتماسكة التي اتخذتها إدارة الرئيس دونالد ترامب المنتهية ولايته.

ومع أن طهران تعول على بايدن لتخفيف التوتر مع الولايات المتحدة، لكن الوضع مهدد بالتدهور والتحول إلى صراع مفتوح قبل انتهاء ولاية ترامب التي تسيطر عليها فوضى متزايدة.

فقبل نهاية العام، أرسل البنتاغون قاذفات "بي – 52" إلى الخليج ردا على التخطيط الإيراني المزعوم للهجوم وذلك بعد أن حلقت هذه الطائرة مرتين في سماء المنطقة قبل ذلك، وألغى أمرا بإعادة حاملة الطائرات نيميتز، وهذا وحده يعكس مدى الأجواء المشحونة خلال الفترة الانتقالية في الولايات المتحدة.

ولم تعلن إيران، الاثنين الماضي، أنها استأنفت تخصيب اليورانيوم المتقدم في انتهاك للاتفاق النووي فقط، بل احتجزت أيضا ناقلة نفط ترفع علم كوريا الجنوبية للضغط على سيول للإفراج عن قرابة سبعة مليارات دولار مجمدة بفعل العقوبات الأميركية.

هذا المزيج القابل للاشتعال، الذي يأتي قبل أسبوعين فقط من تنصيب بايدن، يهدد بعرقلة أو على الأقل تأخير آماله في إعادة الولايات المتحدة إلى الاتفاق النووي الذي انسحب منه ترامب في عام 2018. ولكنه يطرح في المقابل تساؤلات حول مدى إمكانية وصول التوتر إلى مواجهة في المنطقة.

إشارات خاطئة

على مدى أسابيع، سيطرت المخاوف من قيام إيران بإذكاء التوتر، وزادت مع إحيائها الذكرى الأولى لمقتل قائد فيلق القدس قاسم سليماني. وكانت واشنطن في حالة تأهب للتعامل مع انتقام محتمل من طهران، أو من قبل ميليشيات متحالفة في العراق أطلقت في السابق صواريخ على منشآت أميركية في بغداد.

ورغم أنه لم يبد أن إعلان رفع نسبة تخصيب اليورانيوم والاستيلاء على السفينة التي ترفع علم كوريا الجنوبية مرتبطين باغتيال سليماني، إلا أن الخطوتين أثارتا التوترات في المنطقة، والتي لطالما كانت غير متوقعة؛ فجزء من القلق هو أن تحركًا خاطئًا واحدًا أو استفزازًا متعمدًا يمكن أن يشعل الحرب.

ولكن مراقبين، ومن بينهم ماثيو لي وروبرت بيرنز ولوليتا سي بالدور، أكدوا في تقرير لوكالة أسوشيتد برس أنه ليس هناك ما يشير إلى أن الولايات المتحدة تخطط لشن هجوم على إيران، رغم أن ترامب قال إنه سيرد على أي هجوم تشنه إيران أو الميليشيات التابعة لها في العراق يسفر عن مقتل أميركيين.

ولطالما كان للجيش الأميركي مجموعة متنوعة من الأسلحة والقوات في الشرق الأوسط يمكن استدعاؤها إذا اندلعت الأعمال العدائية، لكن ترامب نفسه سخر من فكرة الانغماس أكثر في حروب الشرق الأوسط.

ويبدو أن السيناريو الذي يقلق المسؤولين العسكريين الأميركيين هو قيام إيران بهجوم، سواء داخل العراق أو في أي مكان آخر في منطقة الخليج، وهو ما من شأنه أن يدفع ترامب للرد، مما يؤدي إلى تصعيد قد يشعل حربًا أوسع.

ويعتقد ماتيو لي أن هذا جزء من سبب احتفاظ الولايات المتحدة بحاملة طائرات في المنطقة على أساس شبه مستمر منذ مايو 2019، عندما أكد البيت الأبيض لأول مرة أن إيران كانت تخطط لشن هجمات على أفراد أميركيين.

ويبدو أن التقليب غير المعتاد لنيميتز من قبل وزير الدفاع بالوكالة كريستوفر ميلر، يقوض جهود القيادة المركزية الأميركية لإقناع إيران بأنها لن تدفع إلى شن هجوم على القوات الأميركية.

وكانت إعادة نيميتز مطروحة على الطاولة لأسابيع، حيث كانت الحاملة في انتشار طويل وكان من المقرر أن تعود إلى الولايات المتحدة بنهاية العام الماضي، ولكن تم تمديد جولتها لبضعة أسابيع لتوفير الدعم لعمليات انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان والعراق والصومال.

ومع تصاعد التوترات مع إيران في منتصف ديسمبر الماضي، أرادت القيادة المركزية إبقاء نيميتز في مكان قريب. وبدلا من ذلك، أعلن ميلر في آخر أيام 2020 أنه أمر بإعادتها إلى الولايات المتحدة، وبعد ثلاثة أيام اتخذ قرار إبقائها في الخليج.

وفاجأ إلغاء أمر إعادة نيميتز بعض مسؤولي الدفاع، مما يشير إلى أن القرار ربما تم اتخاذه في البيت الأبيض وليس نتيجة الحجج الجديدة من ضباط الجيش.

وعبر فيبين نارانغ، أستاذ العلوم السياسية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، عن ذلك التردد بالقول إن لدى الولايات المتحدة الآن شكل جديد من أشكال الردع ألا وهو الردع الفصامي.

ويعتقد الباحث الأميركي أنه بدل أن يظهر إبقاء نيميتز في الخليج كدليل قوة، فهو قد يرسل إشارة خاطئة بأن الفوضى المطلقة تسود في واشنطن الآن، وإذا كنت تريد القيام بمحاولة ما ضد الولايات المتحدة، قد يكون الوقت مناسبا الآن.

ويرى نارانغ أن الاحتمال ضئيل بأن تشن الولايات المتحدة عملية عسكرية، لكنه يشير إلى تزايد صعوبة التكهن بتصرفات دونالد ترامب الذي ما زال يرفض الاعتراف بهزيمته.

ماذا سيتعيّن فعله

يكاد يجزم الكثير من المحللين والمتابعين للمتغيرات المتسارعة في الشرق الأوسط أن على إدارة بايدن التوفيق بين عدد من النزاعات والخلافات والتوترات إذا كان من شأن سياستها تجاه إيران أن تحظى بأي فرصة للنجاح.

وفي مقدمة هذه الأمور إدارك بايدن أن كلا من إسرائيل والسعودية ودولة الإمارات، ترغب في الحصول على تطمينات بشأن تحركات الولايات المتحدة تجاه إيران، خوفا من أن تتصرف هذه الدول بطرق من الممكن أن تؤدي إلى تعقيد الإستراتيجية الأميركية.

فيبين نارانغ

لدى واشنطن شكل جديد من الردع ألا وهو الردع الفصامي

ماثيو لي

البنتاغون قلق من شن إيران هجوما في أي مكان بالمنطقة

إلا أن تلك الدول متشككة بشأن الاتفاق النووي، وتخشى أن تتخلى الولايات المتحدة عن نفوذها مبكرا، كما أنها قلقة من أن تؤدي مصالح إدارة بايدن في عملية التفاوض إلى غض الطرف عن تهديدات إيران لجيرانها، كما ترغب الدول الأوروبية في أن تعود واشنطن إلى الاتفاق النووي، بينما من المرجح أن يعارض معظم الجمهوريين في الكونغرس أي عودة إلى الاتفاق النووي الذي لا يتعامل مع أحكام الآجال المحددة، أو الصواريخ الباليستية، أو إثارة إيران للمشاكل في الشرق الأوسط.

وسوف تشعر الإدارة الجديدة بوجود حاجة ملحة لإعادة فرض قيود على البرنامج النووي الإيراني، حتى بينما تتناول القضايا الأخرى، ولكنها لا تريد أن تجعل التفاهمات بشأن البرنامج النووي رهينة للتقدم الخاص بالصواريخ الباليستية أو التحديات الإقليمية.

وحتى في الوقت الذي تسعى فيه إدارة بايدن إلى الحفاظ على نفوذها على إيران وإظهار التكاليف الباهظة لسلوكها السيء، فإنها ترغب أيضا في أن تكون قادرة على تقديم حوافز لسلوك أفضل تجاه جيرانها الإقليميين.